○ السينما التركية:

لقاء مع السنمائي التركي يَلْمَازْ جوني

أنجز اللقاء أ. دُوزْسَايْ
يوم فاتح شتنبر 1980
بسجن إمْرَالِي

ـ سؤال : هل يمكنك أن تحدثني عن الطريقة التي أعددت بها سيناريو فيلميك : « القطيع »، و « العدو » ؟

ـ جواب : من المؤكد أن « القطيع » في البدء ثم « العدو »، فيلمان شكلا منعطفا سواء في حياتي المهنية أو بالنسبة للسينما التركية الحالية. لقد وُلد « القطيع » كفكرة عندما كنت نزيل سجن سِيلِيمي [1] ثم طُوِّر في سجن إزْمِيتْ [2]. في البداية كان عبارة عن ملخص يطمح ليصير سيناريو، ثم فيلما على يد طُنْصْ أوْكَانْ [3]، لكن أوْكَانْ، كان قد فقد قيمته الطموحة أكثر من العادة بالنسبة لنا، نظرا للصعوبات الاقتصادية التي كانت توجد عليها في ذلك الوقت مؤسسة (أفلام جوني)، لكننا كنا قد التزمنا بالعمل في هذا الفيلم، وقد أخرجناه في ظروف مادية جد صعبة ، ويمثل تصوير الفيلم حكاية كاملة يجب أن تحكى بالتفصيل في يوم من الأيام.

إن « القطيع » و « العدو »، بمعنى من المعاني، سيناريوهاي الوحيدان، قبل هذا لم يكن يمثل السيناريو بالنسبة إليَّ سوى ذريعة موصلة إلى فيلم. كان يمكن أن ننطلق من سيناريو توجد لدينا خطوطه العريضة، لكن الفيلم في نهاية الأمر مسلسل آخر، ويمكن أن يكون مغايرا تماما لما كنا نتوقع. فكنت إذن أترك مجالا كبيرا للإلهام والحظ عند التصوير، كنت أستطيع أن أضيف كثيرا بعفوية فوق الحلبة. لكن « القطيع » و « العدو » شيء آخر، فهنا كنت أعرف أنني لن أعمل في الفيلم، وسيكون فيلم أحَدٍ آخر، لذا توجب أن أدخِلَ ما أمكن، من نَفسي ومن تاريخي ومن صوري في السيناريو. إذن، كان عملا آخر أطول مما سبقه، وكانا سيناريوهين مفصلين أكثر، مع تقطيع للمشاهد المتوقعة، مليء بنقط قصيرة إلى جانب الحوار، حول آرائي في التصوير، وفي هذا المشهد أو ذلك، في الاضاءة أو دور هذا الممثل أو ذاك.

إن تصوير فيلم يعتبر مغامرة كاملة كما سبق أن قلت، ربما تنتفي (أي المغامرة) في السينما الأمريكية حيث يكفي لتصوير فيلم أن تدار آلة ضخمة، وعجلة ضخمة، حيث تُعدُّ مسبقا، كل قطعة مهما صغر حجمها. لكن تصوير فيلم على العموم، مغامرة لا يمكن التنبؤ بنتائجها بسهولة. وبالرغم من كل الإشارات وكل النقط فإن « القطيع » و « العدو » هما فيلما زكي أكطَانْ لا جوني. فجوني كان سيخرجهما بطريقة مغايرة. ليس معنى هذا أنني أحب، أو لا أوافق على هذين الفيلمين أو على عمل صديقي أوكطان، بل بالعكس. لكن كل واحد يخرج فيلمه و لايمكن أن يكونا نفس الشيء...

سؤال : كم أخذت كتابة سيناريو « القطيع » من الوقت ؟

جواب : دام العمل الأول شهرين، ثم أعدت كتابته في أربعة أشهر، لكني كنت في حاجة ـــ بين العملين ـــ إلى وثائق أكثر شمولية، لقد سلمت لصديق لي بضعة من الأسئلة، تتعلق على الخصوص بالأشياء العملية حول ناحية مَرْدَان حيث تدور أحداث الفيلم، حول أسماء أكثر شيوعا فيما يخص ثمن الغنم، واستعمال الجرارات، والتاثير الحالي للدين وقد قام هذا الصديق ببحث علمي وسوسيولوجي. كما سُلِّمَتْ لي صور كثيرة بالألوان لفلاحين ورعاة وهضاب ومروج. وكنت أشتغل باستمرار وأترك الجانب البصري للحكاية يجتاحني أثناء كتابة السيناريو، وأخيرا، من البداية إلى النهاية، قضيت ثمانية أشهر لكتابة « القطيع ».

سؤال : ما تأثير كونك في السجن على طريقة تصورك للسيناريوهات التي تكتب ؟

جواب : على عكس الكتاب الأتراك الذين قضوا سنوات بالسجن مثل ناظم حكمت أو كمال طاهر، فإن حياة السجن بالمعنى المعروف لم يكن لها سوى تأثير ضئيل على ما اكتب لأنهم بإمكانهم أن يظلوا خارج هذه الحياة، لا يتدخلون فيها شخصيا، فهم يلاحظون فقط ويضمنون مؤلفاتهم ثمرة ملاحظاتهم.

أما أنا فلا أستطيع أن أبقى خارج هذه الحياة لأسباب جد مختلفة، ولا يمكنني أن ألعب لعبة المحور مقر هذه الحياة التي أحس نجاهها، حسب الإمكان، بوجوب إعطائها معنى معينا، ونظاما معينا، بمحاولة إعطاء انتظام معين، وكذلك لا أنوي كتابة شيء شبيه بذكريات من السجن.

سؤال : هل تعتبر المسألة الرئيسية لـ « القطيع » : تفكك حياة الترحال رمز الإقطاعية في الأناضول الشرقي، موضوعا راهنا ومهما ؟

جواب : يجب أن نتساءل دائما، ما هي العوائق التي تعيق التطور الاقتصادي والديمقراطي لبلدنا ؟ الامبريالية والرأسمالية المحلية في تعاونها التام مع الشركات المتعددة الجنسية، وبقايا الإقطاع. فالكفاح ضد بقايا الإقطاع جزء من نضالنا من أجل دمقرطة بلدنا.

فالفيلم يحاول أن يظهر أن الانتقال إلى الرأسمالية مع الاستغلال الطبقي الذي تتضمنه بالتحديد، ومع انحطاط القيم الإنسانية الأكثر عمقا في الانسان، ليس حلا ولا بديلا للإقطاعية، فتركيا اليوم دولة حيث الاقطاع الذي يحتضر لكنه يقاوم، ويتعايش مع الرأسمالية الوليدة، وهذا واضح في عدة ميادين.

ليست هناك مأساة شخصية في « القطيع » ولا في الحياة كذلك، في حين يشهد النظام الإقطاعي ، المرموز إليه في الفيلم بِحَمُو أغا الأب، انهياره وضياعه المحتومين، والبرجوازية أيضا، وفي العالم أجمع، وهذا لن يتأخر عندنا، وهي تجري نحو حتفها. فالمخرج الوحيد بالنسبة لنا لا يكمن إلا في الاشتراكية.

سؤال : هل تنوي العمل في سينما سياسية ؟

جواب : نعم، لكن هذا لا يعني أنني أتناول مشاكل سياسية مباشرة وصريحة، مشاكل السياسة الراهنة، يجب أن نتحرر من تأثير، بل من ضغط الإخبار السياسي، فالأحداث الحالية تتعرض غالبا إلى تأويلات متغيرة، يمكن رؤيتها بين عشية وضحاها بنظرة جديدة. فالفيلم السياسي لا يتناول بالضرورة الأحداث الإخبارية للسياسة، بل إنه من الأسلم له أن يبتعد عنها ما أمكن. فالفيلم السياسي يجب أن يتوفر على نظرة سياسية دقيقة، وموقف إيديولوجي واضح ذي أسس متينة، ويمكن صنع فيلم سياسي جدا، له فعالية كبيرة من الناحية السياسية، دون تناول أي حدث سياسي.

هوامش :

(1) : أدخل ي. جوني : سجن سليمي سنة 73 ــ 74 عند اعتقاله لأسباب « سياسية »
(2) : إزميت هو السجن الذي ألقي فيه جوني بعد اعتقاله في أواخر سنة 74 بتهمة « المساس بالأمن العام » هذه المرة، قبل أن ينقل إلى سجن الجزيرة : إمرالي حيث يوجد لحد الآن.
(3) طنص أوكان منتج ومخرج وممثل فيلم « الحافلة » وهو فيلم تركي صور بسويسرا والسويد.

عن مجلة « سنيما » ،ع، 262، أكتوبر 80، ص 61.

نبذة عن حياة جوني :

من مواليد منطقة « أدانة » في الجنوب الشرقي من تركيا، من أسرة فقيرة (أبوه عامل موسمي) كثيرة العدد (سبعة أطفال)، عندما بلغ سن 19 انتقل إلى إسطامبول ومعه دواوين شعرية ومجموعات قصصية، وهناك تعرف على السينما. بدأ حياته السينمائية كممثل، وبعد عشر سنوات (1961) ألقي عليه القبض لأول مرة بتهمة

« الدعاية الشيوعية ». وحكم بسنتين سجنا وبعد خروجه من السجن استأنف نشاطه السينمائي بعد نضج سياسي حقيقي، ومن هذه المرحلة بدأت شهرته. أسس في 1970 مؤسسة « أفلام جوني »، ألقي عليه القبض من جديد في مارس 1971 بعد تدخل الجيش في الحياة السياسية. ثم اعتقل أيضا في أبريل 1972، بعد اتهامه بالتعاون مع الشيوعيين، ولم يطلق سراحه إلا في ماي 74، لكن لبضعة أشهر فقط إذ أدخل السجن مرة أخرى في أواخر 74، بعد مقتل قاض، وإتهامه بالمس بالأمن العام. وحكم عليه ب 18 سنة سجنا. يوجد حاليا بالسجن المفتوح بجزيرة مرمرة، وهو بالإضافة إلى اهتمامه بالسينما يهتم بالقصة والرواية أيضا.

اهم الأفلام التي أخرجها

ــ الذئاب جائعة	1969
ــ الأمل	1970
ــ اليائسون	1971
ــ الرفيق	1974
ــ الفقراء	75.72

كتب سيناريو عدة أفلام أهمها في نظره

ــ القطيع	1978
ــ العدو	1979